مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ١: ١١–١٩)

يا إخوةُ أُعلِمكم أنَّ الإنجيلَ الذي بشَّرتُ به ليسَ بحسبِ الإنسانِ* لأنّي لم أتسلَّمْهُ أو أتعلَّمْهُ من إنسانٍ بل بإعلانِ يسوعَ المسيح* فإنَّكم قد سمعتُم بسيرتي قديماً في مِلَّةِ اليهودِ أنّي كنتُ أضطهدُ كنيسةَ اللهِ بإفراطٍ وأدمِّرُها* وأزيدُ تقدُّماً في مِلَّةِ اليهودِ على كثيرينَ من أترابي في جنسي بكوني أوفرَ منهم غَيرةً على تقليداتِ آبائي* فلمَّا ارتضى اللهُ الذي أفرزني من جوفِ أمي ودعاني بنعمتِه* أن يُعلِنَ ابنهُ فيَّ لأُبشِّرَ بهِ بينَ الأممِ لساعتي لم أُصغِ إلى لحمٍ ودمٍ* ولا صعِدْتُ إلى أورشليمَ إلى الرسلِ الذينَ قبلي بل انطلقتُ إلى ديارِ العربِ وبعدَ ذلكَ رجعتُ إلى دمشق* ثمَّ إنّي بعدَ ثلاثِ سنينَ صعدتُ إلى أورشليمَ لأزورَ بطرسَ فأقمتُ عندَهُ خمسةَ عشرَ يوماً* ولم أرَ غيرَهُ من الرسلِ سوى يعقوبَ أخي الربِّ.

البار أبراميوس

تُعيِّد الكنيسة المقدسة في التاسع والعشرين من تشرين الأول لأبينا البار أبراميوس وابنة أخيه البارّة مريم اللذين عاشا في القرن الرابع وكتب سيرتهما صديق ابراميوس الحميم القديس أفرام السرياني (٣٠٦–٣٧٣).

ولد أبراميوس في مدينة الرها، في بلاد ما بين النهرين، لوالدين غنيّين نبيلين تقيين أنشآه على التقوى كما وفّرا له كل إمكانيات تحصيل العلوم الدنيوية. لكن محبته لله طغت على اهتمامات هذا العالم، حتى انه رفض الزواج من فتاة كان قد خطبها له والداه وذلك رغبة منه في عيشة النسك والتأمل والصلاة. أصر والداه على تزويجه وأقاما الإحتفالات لمدة سبعة أيام، لكن أبراميوس اختار النصيب الصالح الذي لا يُنزع منه، فخرج سراً من المنزل وتوارى قبل عقد الزواج وكان عمره عشرون عاماً.

قصد أبراميوس مكاناً معزولاً خارج المدينة وبقي سبعة عشر يوماً يصلّي على الدوام دون أن يذق أي طعام أو شراب. أراد التهام الحياة الإلهية التهاماً. بحث والداه عنه كثيراً إلى أن وجداه بعد وقت في مغارته ولما عاينا الفرح الإلهي في عيني ولدهما تركاه يحيا حلاوة العشرة الإلهية. بعد خروجهما سدَّ أبراميوس باب القلاية وأبقى على نافذة صغيرة تصله بالعالم ويتلقى عبرها بعض الطعام.

عاش أبراميوس في جهاد دائم ومتصاعد، فكان يكثف صلواته وأصوامه وأسهاره يوماً بعد يوم، وبقدر ما كانت تشتد حياته النسكيَّة كان يزداد وجهه إشراقاً. ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأ الناس يتوافدون إليه طالبين النصح وسائلينه البركة والدعاء. فقابل الكبار والصغار، الأغنياء والفقراء، بتواضع ومحبة هائلين، وكان الله يبلسم قلوب قاصدي أبراميوس عبر الكلام الحلو الصادر من فمه. بعد عشر سنوات من النسك توفي والداه وقد تركا له ثروة طائلة. فأرسل إلى صديق له كي يدير شؤون هذه التركة وتُنفق على الفقراء والأيتام.

وحدث في ذلك الوقت ان أسقف المنطقة حيث نسك أبراميوس واجه مشكلة مع أبناء إحدى القرى الوثنية

العدد ٢٠٠٦/٤٤

الأحد ٢٩ تشرين الأول

تذكار القديسة البارة

في الشهيدات أنسطاسيّا الرومية

وأبينا البار أبراميوس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَرْ التاسع

الإنـجيل

(لوقا ٨: ٤١–٥٦)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ اسمُهُ يايرُسُ وهو رئيسٌ للمجمع وخرَّ عند قدَمَيْ يسوعَ وطلبَ إليه أن يدخُلَ إلى بيتِه* لأنَّ لهُ ابنةً وحيدةً لها نحو إثنتَيْ عشرَةَ سنةً قد أشرَفَتْ على الموت. وبينما هو منطلقٌ كان الجموعُ يزحمونهُ* وإنَّ امرأةً بها نَزْفُ دم منذ إثنتَيْ عشرةَ سنةً وكانت قد أنفَقَتْ معيشَتها كلَّها على الأطبَّاءِ ولم يستَطِع أحَدٌ أنْ يشفِيَها* دنَتْ من خَلفِهِ ومسَّت هُدْبَ ثوبهِ وللوقت وقفَ نَزْفُ دمِها* فقال يسوعُ مَن لمَسَني. وإذ أنكرَ جميعهم قالَ بطرسُ والذين معهُ يا معلِّمُ إنَّ الجموعَ يضايقونك ويزحمونك وتقول مَنْ لمَسني* فقال يسوعُ إنَّهُ قد لمَسَني واحدٌ. لأنّي علِمتُ أنَّ قوَّةً قد خرجَتْ منّي* فلمَّا رأتِ المرأةُ أنَّها لم تَخْفَ جاءت مرتعدةً وخرَّت لهُ وأخبرَتْ أمامَ كلّ الشعبِ لأيَّةِ علَّةٍ لَمَسَتْهُ وكيف برِئتْ للوقت* فقال لها ثِقي يا ابنةُ. إيمانُكِ أبرأكِ فاذهبي بسلام* وفيما هو يتكلَّمُ جاءَ واحِدٌ من ذوي رئيسِ المجمعِ وقال لهُ إنَّ ابنتكَ قد ماتتْ فلا تُتعبِ المعلّم* فسمعَ يسوعُ

الذين لم يريدوا قبول البشارة رغم كثرة الإكليريكيين الذين حاولوا هدايتهم. استدعى الأسقف أبراميوس وعهد إليه مهمة تبشير هؤلاء. رفض أولاً لكنه خضع لمشيئة الله والأسقف وقَبِلَ الكهنوت ومضى في مهمته غير عابئ بالأخطار التي قد تواجهه. لدى وصوله بنى كنيسة من أموال تركة والديه، وكان يصلّي فيها من أجل أن يعود هذا الشعب عن ضلاله ولكي يشرق الله نوره في قلوبهم. لم يتعرَّض له أحدٌ بالأذى، وبقي كذلك إلى أن أتى يوم احتدت فيه روح الله فدخل هياكل الأوثان وحطّم الأصنام. ثار أهل البلدة فضربوه ضرباً مبرّحاً وجرّوه وألقوه خارج البلدة. لكنه عاد في منتصف الليل ودخل الكنيسة وصلّى باكياً طالباً الرحمة لهؤلاء. وجد الوثنيون أبراميوس في الصباح يصلّي، فانقضوا عليه من جديد وأشبعوه ضرباً حتى أُغمي عليه فظنوه مات فألقوه بين الأقذار خارج المدينة. استيقظ أبراميوس في منتصف الليل فعاد إلى الكنيسة يصلّي من جديد لكي يشفق الله على هذا الشعب المسكين. عاد الوثنيون وضربوه وألقوه خارجاً، وبقي أبراميوس يعود إلى الكنيسة ويصلّي ويعاني من اضطهادهم القاسي بمحبة هائلة مدَّة ثلاث سنوات. أخيراً نفذت النعمة الإلهية إلى قلوبهم فاعترفوا بإله أبراميوس، فعلّمهم سنة كاملة وعمَّدهم. ولما اطمأن إلى أحوالهم تركهم سراً عائداً إلى منسكه، أما هم فبكوا فراقه بكاءً مراً.

حارب الشيطان أبراميوس في منسكه كثيراً. فكان يهاجمه تارة بأفكار الكبرياء والمجد الباطل، وطوراً بالصور المرعبة والصراخ. لكن أبراميوس بقي ثابتاً في محبته للرب. أخيراً، حارب الشيطان أبراميوس بابنة أخيه مريم التي توفي والدها وهي في السابعة. عاشت مريم في كنف أبراميوس حتى بلغت العشرين، فرباها على الفضيلة. إلا ان الشيطان استغل جمال مريم فأرسل لها راهباً مزيّفاً تودَّد إليها حتى أوقع بها وسقطت في الخطيئة معه. خجلت مريم من عمّها ولم تشأ النظر في عينيه فهربت إلى المدينة وأخذت تتعاطى الفجور سنتين كاملتين، وكان خلالها أبراميوس يسعى مفتشاً عنها وطالباً إياها بالصلاة ولكن غير عالم بأحوالها إلى ان علم برؤيا ما حلَّ بها. أخيراً جاءه من يخبره عن مكانها، فتنكر بزي ضابط وقصد المدينة على ظهر حصان. هناك قدّم نفسه كأحد طالبي الفتاة، فأكل معها لحماً وشربا خمراً، وطلب الإختلاء بها. في الخلوة كشف عن نفسه لها. توسل إليها بالدموع أن تعود إلى طهارتها وتتوب والله يقبل التوبة الصادقة. بكت مريم وندمت على فعلها وصلّت مع أبراميوس طوال الليل، ثم عادا معاً إلى المنسك. ولتعزية أبراميوس ومريم سمح الله أن تُجرى بعض العجائب على يد مريم.

لم يعش أبراميوس طويلاً بعد عودة مريم. فقد رقد عام ٣٧٠ وكان له خمسون سنة ناسكاً. ويقول القديس أفرام أن وجه أبراميوس عند وفاته كان يشع حتى بدا ان الملائكة حضرت لتنقل روحه الطاهرة. أما مريم فعاشت خمس سنوات بعد رقاد عمها وماتت مكلَّلة

فأجابهُ قائلاً لا تخفْ. آمِنْ فقط فتبرأ هي* ولمَّا دخل البيتَ لم يدَعْ أحداً يدخُلُ إلاَّ بطرسَ ويعقوبَ ويوحنَّا وأبا الصبيَّةِ وأمّها* وكان الجميعُ يبكون ويلطُمون عليها. فقال لهم لا تبكوا. إنَّها لم تمُتْ ولكنَّها نائمة* فضحِكوا عليهِ لعلمِهم بأنَّها قد ماتت* فأمسكَ بيدِها ونادى قائلاً يا صَبيَّةُ قومي* فرجَعَتْ روحُها وقامَتْ في الحال فأمَرَ أنْ تُعطى لتأكلَ. فدَهشَ أبواها فأوصاهما أنْ لا يقولا لأحدٍ ما جرى.

تأمل

لم تأتِ المرأة النازفة إلى الرب يسوع بصراحة بل خفية اقتربت منه ولمست ثوبه بإيمان. لم يكن عندها شك ولكنها لم تقل سوى أشفى للحال من مرضي. لقد اقتربت برجاء لإعادة صحتها وقال عنها الإنجيلي: إن مسست ثوبه فقط شفيت. شاهدته يخرج من بيت العشار وشاهدت الذين كانوا يتبعونه من عشّارين وخطأة، كل هذا أعطاها رجاءً بازدياد. أمّا المسيح فلم يتركها تهرب بل جلبها إلى الوسط وأظهرها للجميع وذلك لأسباب كثيرة. هذا بالرغم من إمكانية قول بعض الملحدين انه فعل ذلك بإكليل المجد. فبشفاعتهما أللهم ارحمنا وخلِّصنا.

التبشير

كل إنسان تعرّف على الله وكان صادقاً بحبه له يندفع بسرعة ليبشِّر إخوته البشر حتى يكتشفوا هم أيضاً محبة الله ويتنعموا بفرح الحياة معه.

لكن على أية أسس تقوم البشارة وكيف تنجح؟

هناك نوعان من البشارة: البشارة بالكلا م والبشارة الصامتة (بالحياة)، والإثنتان تتكاملان ولا تنجح الواحدة دون الأخرى. البشارة بالكلام تفترض أن يعرف المبشِّر الموضوع الذي سيتحدَّث عنه وأن يجيد مخاطبة الآخرين والتأثير فيهم. أما البشارة الصامتة فتقوم على عَيْش موضوع البشارة يومياً لأن الناس لا يحتاجون فقط أن يسمعوا كلاماً عن الله، بل يتوقون ليروا أمثلةً أمامهم عن أناس آخرين مثلهم يختبرون الحياة مع الله. سبب ذلك ان مضمون البشارة وما ندعو العالم إليه ليس تعليماً فكرياً أو فلسفياً، بل هو دعوة إلى تغيير الحياة وإلى الدخول في شركة مع الله، تالياً لا بد من وجود تماهي بين البشارة المنقولة والحياة المُعاشة. هكذا البشارة المسيحية تتم بالقول وبالفعل، أي أن ننقل بشارة الخلاص الذي تحقق بيسوع المسيح لكل العالم من خلال تعليمنا عنه ومن خلال تطبيقنا لوصايا المسيح وتعاليمه التي تؤهلنا للمشاركة في خلاصه.

الخلاص الذي نبشِّر به هو خلاص من سلطة الشيطان وسلطة الموت، وقد تحقق بموت المسيح وقيامته من بين الأموات، لكن البعض لا يقبلون هذه البشارة بحجة أن الشيطان لا يزال سيد العالم والناس يموتون كل يوم! هذا الأمر صحيح بالنسبة للذين يعيشون حسب أهوائهم، أما بالنسبة للذين قبلوا البشارة ووصلوا إلى الاتحاد بالله فلا سلطة للشيطان عليهم إذ قد أماتوا أهواءهم التي من خلالها يتحكم الشيطان بالبشر، والموت بالنسبة لهم هو مرحلة مؤقتة لأنهم يحيون منذ الآن في الله وإن ماتوا جسدياً فسيقومون في اليوم الأخير على شبه قيامة المسيح وحسب قوله: «أنا هو القيامةُ والحياةُ، من آمنَ بي ولو مات فسيحيا» (يوحنا ١١: ٢٥). ويتأكد لنا ذلك من خلال بعض الحالات التي يتخطى فيها القديسون حدود الطبيعة فيشفون النفوس والأجساد ويقيمون الموتى ويمشون على المياه...

بعد أن رأينا طريقة التبشير ومضمون البشارة ننتقل إلى الحديث عمن يحق له أن يبشِّر. البشارة الصامتة مطلوبة من كل المؤمنين كون الدعوة موجهة إلى جميعهم للعيش بحسب الوصايا الإلهية. أما بالنسبة للبشارة الكلامية فيحضرنا كلام للقديس غريغوريوس النزينزي يؤكد فيه أنه: «ليس للكل أن يتكلَّموا عن الله ولا الأمر سهلاً بالنسبة للذين أتوا من التراب، بل فقط للذين امتُحنوا ووصلوا إلى معاينة الله بعد أن طهروا النفس والجسد، لأنه ليس لغير الطاهر أن يلمس الطاهر ويكون بأمان مثلما لا يستطيع النظر الضعيف أن يحدّق في أشعة الشمس القوية». من ناحية أخرى يشدِّد بولس الرسول على أهميَّة التبشير قائلاً: «ويلٌ لي إن كنت لا أبشِّر» (١كور ٩:١٦). من هنا، على المسيحي أولاً أن يتطهَّر من أهوائه لكي لا يسود عليه الشيطان من بعد، وعندما يمتلئ من الروح القدس

رغبة في المجد لأنهم يقولون لم يتركها تذهب بلا ملاحظة. ماذا تقولون أيها الجهلاء؟ هذا الذي يطلب الصمت، الذي ستر عجائب عديدة أيرغب الآن بالمجد؟ ولكن لأي سبب أتى بها إلى الوسط؟ أولاً: ليبعد الخوف من المرأة، ولا يزعجها ضميرها وكأنها سرقت النعمة وتعيش في قلق. ثانياً: ليخرجها من ضلالها في الاعتقاد أنها عبرت بلا ملاحظة. ثالثاً: لكي يتبيّن للجميع إيمانها حتى يحسدها الآخرون.

... أنظروا كيف ان المرأة كانت أفضل من رئيس المجمع، لم توقفه، لم تمسكه، لقد لمسته فقط بطرف اصابعها، وبينما جاءت بعد رئيس المجمع ذهبت صحيحة قبله. لقد طلب الطبيب إلى بيته أما هي فقد اكتفت بالاقتراب منه. إن كانت مربوطة بألمها لكنها كانت مجنّحة بإيمانها. انتبهوا كيف يعزّيها السيد «إيمانك أبرأك». لقد قال لها هذا بعد ان جلبها إلى وسط الشعب لكي يعلّم رئيس المجمع ان يؤمن ولكي يجعل المرأة تخبر أمام كل الشعب، هذا بالإضافة إلى النعمة والفائدة التي واكبت كلماته والتي لا تقلُّ عن الصحة الجسدية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يستطيع حينها أن ينقل خبرة معرفة الله إلى الناس، لأن البشارة لا تقوم فقط على دراسة الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة وتعليمها للناس رغم أهميَّة هذه الأمور في التعرّف على الله، بل يجب أن تقترن هذه الدراسة باللقاء الشخصي مع الله عبر الصلاة والتأمل.

القداسة هي الهدف الأساسي لحياتنا، وحين يسمح الرب نستطيع أن نبشِّر باقي الناس لكي لا نتحدَّث عن الله ونحن نجهله لأنه ليس هناك أفقر من الفكر الذي يتكلَّم عن الله وهو يقف بعيداً عنه.

يبقى السؤال الأخير: مَن مِن الناس يجب علينا تبشيره؟ فلنتذكّر مَثَل الزارع (متى ١٣:٣-٩) الذي أعطاه الرب يسوع، فالزارع لم يلقِ البذار فقط في التربة الجيدة بل في كل الاتجاهات، هكذا نحن أيضاً نرسل كلمة الله إلى كل الناس من خلال أقوالنا وأفعالنا والرب ينمِّيها، أما المؤمن فحين يرانا ويسمعنا يتشدَّد إيمانه ويتشجع في جهاده، وأما غير المؤمن فيتحرك الفضول المقدَّس الذي فيه ويسعى للتعرُّف إلى إلهنا.

ختاماً نسأل الله الذي «أعطى البعضَ أن يكونوا رُسلاً والبعضَ مبشِّرين والبعض رعاةً ومعلِّمينَ» (أفسس ٤:١١)، أن يؤهّلنا جميعاً لمعرفته حتى إذا ما أصبحنا من خاصته نكون شهوداً له في كل مكان وزمان، وأمام كل إنسان نصادفه في حياتنا.

من أقوال القديس ذياذوخس

قليلون جداً هم الذين يَتبيَّنون بدقةٍ كل زلاّتهم. فإن هذا فقط شأن الذين لا يتيحون لذهنهم الإقلاع أبداً عن ذكر الله. فعيوننا الجسدية، إذا ما كانت سليمة، قادرة على رؤية كل شيء حتى الذباب والبعوض الحائم في الهواء، أما إذا كانت تغطّيها غشاوة أو رطوبة وتراءى لها شيء ضخم فهي تراه بشكل غامض، كما انها لا تبصر الأشياء الصغيرة الحجم. كذلك النفس أيضاً إذا ما أزالت بالانتباه والصلاة عماها الناجم عن حب العالم فإنها ترى أصغر الزلاّت كأنها كبيرة جداً ولا تبرح تقدّم لله دموعاً فوق دموع في شكرها العظيم له. فإنه مكتوب «فيحمد الصدّيقون لذلك اسمك» (مز ١٣٩: ١٣)، أما إذا بقيت على ميولها الدنيويّة فإنها، وإن اقترفت قتلاً أو خطيئة تستوجب أقصى العذاب، فلا تشعر بها إلا قليلاً. أما بقية الزلاّت فلا يمكنها حتى أن تدل عليها، بل كثيراً ما تعتبرها فضائل ولا تستحيي الشقية أن تدافع عنها بحماسة.

نقل رفات القديس جاورجيوس

بمناسبة ذكرى نقل رفات القديس جاورجيوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الخميس ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الجمعة ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٦ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb